الشخصية الدينية في الرواية الجزائرية

ثلاثية الطاهر وطار أنموذجا

The Religious Characters in The Algerian Novel
Taher Ouattar's Trilogy as A Case Study

أ. عفاف صيفي*

تاريخ الإرسال: 2021/02/13	تاريخ القبول: 21 / 04 / 2021	تاريخ النشر: 30 / 06 / 2021

الملخص:

تُعد الشخصية الروائية باعتبارها مكونا سرديا الوسيلةَ التي يجسد بها الروائي رؤيته، ويعبر بها عن إحساسه بواقعه، فهي ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوى التي تحرك الواقع من حوله.ولا تجتمع للباحث أو القارئ كلّ صفاتها إلاّ بانتهاء قراءة العمل الروائي،فهي صفات، وظائف، أدوار، اسم، علاقات، تصرفات طبائع وسلوك، وهذا هو مسعى هذه الدراسة التي تحاول أن تبرز وظيفة الشخصية الدينية بنائيا ودلاليا، من خلال تقنية التناص في ثلاثية الروائي الجزائري الطاهر وطار التي تزخر بالشخصيات الدينية القرآنية، وبالتالي لاشك أن هناك تساؤلا يفرض نفسه حول طرق استدعائها باعتبارها شخصيات لاتنتمي للحدث، وما هي وظيفتها في المتن الروائي؟.

الكلمات المفتاحية: الشخصية ؛ الرواية الجزائرية؛الشخصيات القرآنية ؛ ثلاثية الطاهر وطار.

Abstract:

The fictional personal, as a narrative component, is the means by which the novelist embodies his vision and expresses his sense of reality. It is the novelist's main pillar in revealing the forces that move the reality around him. The researcher or the reader does not meet all its attributes except when reading the fiction work,

المؤلف المرسل: أ. عفاف صيفي. saifi-dz@hotmail.com

***المدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة**

as they are attributes, functions, roles, name, relationships,behaviors of natures and behavior, and this is the endeavor of this study, which tries to highlight the function of the religious characte
constructively and semantically,through the technique of intertextuality in the novelist's trilogy. The Algerian Taher Ouattar, which is full of Quranic religious personalities, and therefore there is no doubt that there is a question that imposes itself about the methods of summoning them as characters who do not belong to the event, and what is their function in the narrative body?.

Keywords: Personal, Novel, Intertextuality

*** *** ***

يُعتبر توظيف الشخصيات التراثية شكلا آخر من أشكال التناص عند وطار، فهذه الشخصيات في الثلاثية*علقت بأسمائها وأفعالها وأقوالها في أذهان أجيال القراءالمتعاقبة، لذلك يعتبر ذكر شخصية تراثية ما، في نص سردي معين، استحضارا لقصة تلك الشخصية المرجعية في ذهن المتلقي الذي ترسبت في ذاكرته تفاصيلها وأحداثها، مما قرأه أو سمعه عنها.

وفي هذا الصدد يرى فيليب هامون "إن السمة الدلالية للشخصية ليست ساكنة، ومعطاة بشكل قبلي، يتعين علينا فقط أن نتعرف عليها، ولكنها بناء يتماطرادا، زمن القراءة وزمن المغامرة الخيالية، إنها شكل فارغ تقوم المحمولات المختلفة بملئها "[1]. أي أن اختيار المؤلف لشخصية بعينها لتوظيفها في نصه له مقصديته ودلالته، ذلك لأن الشخصية دائما ترتبط بحدث معين، وبالتالي بقصة ما،لأنه "لا توجد شخصية خارج إطار الحدث، وأن لا حدث منفصل عن الشخصية"[2]، فـ"الحكاية باعتبارها مجموعة أحداث يستدعي تحقيقها وجود شخصية واحدة على الأقل"[3]، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف يتأكد القارئ من أن اسم الشخصية المذكورة داخل النص يشير فعلا إلى تلك الشخصية التراثية دون سواها؟.مثلا قد نجد داخل النص اسم إبراهيم أو موسى أو آدم، فهل هذه الأسماء تحيل إلى الأنبياء إبراهيم وموسى وآدم عليهم السلام؟ أم أنها مجرد أسماء أعلام لأناس عاديين؟.

إن القارئ لا يجد أمامه سوى السياق وسيلة وحيدة[4]، يمكنه الارتكاز عليها في محاولة تحديد هوية الشخصية التي يشير إليها الاسم المستدعى داخل النص، فالسياق وحده الكفيل بتحديد الشخصية المقصودة، بذكر أحد أفعالها الكبرى (آدم /الشجرة) أو

ارتباطها بشخصية أخرى كـ" (إبراهيم /إسماعيل)، أو ذكر المكان الذي عاشت وتواجدت فيه كذكر (الجنة /آدم) (سبأ /بلقيس) أو ذكر صفة أخرى اشتهرت بها هذه الشخصية المرجعية (موسى كليم الله) أو (إبراهيم الخليل) وهكذا.

أما فيما يخص آليات استدعاء الشخصية المرجعية فهي كثيرة ومتعددة، يتخير منها الكاتب ما يتلاءم مع بنية النص وما يتوافق مع رؤياه، محققا غايته من ذكرها وتوظيفها، "بحيث يكون لآلية الاستدعاء نفسها دور دلالي داخل السياق، ويمكن تقسيم آليات استدعاء الشخصية التراثية إلى"- اسم العلم (الاسم المباشر / اللقب / كنية)، - بالدور(الحدث أوالقصة)، - القول".[5]

يعتبر **الاستدعاء باسم العلم** أوضح أنواع استدعاء الشخصية التراثية، خاصة إذا قرن باللقب والكنية، ويدخل هذا النوع ضمن التناص المباشر والصريح، أما الاستدعاء بالدور فيكون بذكر الفعل الذي قامت به الشخصية واشتهرت به، دون التصريح باسمها داخل النص "حيث يمثّل الدور- المذكور - إشارة تستحضر صورة الشخصية غير المذكورة في ذهن المتلقي"[6]، ويدخل هذا النوع ضمن التناص غير المباشر. في حين يتم الاستدعاء بالقول بذكر القول الذي جاء على لسان الشخصية المرجعية، دون ذكر اسمها داخل النص، ويعتبر هذا القول علامة بارزة لهذه الشخصية ودليلا يحيل عليها، وذكر القول المشهور هو تلميح للشخصية وإحالة عليها.

يُشْتَرَط في آلية الاستدعاء أن تكون " مندمجة ومتفاعلة مع بنية النص بمستوياته المختلفة، وفقا لدلالته الكلية"[7]، وعلى المبدع أن يختار ما يناسبه من هذه الآليات، وما يساعده لتحقيق دلالته، "فالشخصيات المستدعاة من خلال آلية الاسم العَلم تعد دوالا، تنتج دلالتها بالتفاعل مع بنية النص، فإنه عند استخدام آلية الدور أو آلية القول تتحول الأفعال والأقوال الدالة إلى دوال، وتتحول الشخصيات المستدعاة إلى مدلولات في المستوى الأول من الإدراك"[8] ويتحقق ذلك باستثمار أبعادها ومدلولاتها الرمزية الإيحائية، و"تحويلها إلى نسق بنائي، ونسيج إبداعي منسجم في شبكة العلاقات التي ينتجها النص"[9]، ويسعى المؤلف لإبرازها، لتحقيق القصد منها.

وقبل استعراض طريقة استدعاء هذه الشخصيات (آليات)، ليتسنى قراءة مدلولاتها ومقصديتها، ارتأيت تقسيم هذه الشخصيات القرآنية المذكورة في ثلاثية وطار إلى ثلاثة أقسام: الأنبياء، الصالحون الأصفياء ثم الطغاة والمنبوذون، وهذا التقسيم

استقيته من تقسيم الناقد علي عشري زايد الشخصيات إلى شخصيات الأنبياء، وشخصيات مقدسة، وشخصيات منبوذة.[10]

حضور لافت للأنبياء

يتضح من خلال استقراء المتن السردي في ثلاثية وطار أن شخصيات الأنبياء موجودة بكثافة وتنوع، إلى جانب شخصية الشيطان التي تتواجد بكثافة كبيرة، تضاهي تقريبا عدد مرات ذكر الأنبياء ،وهو ما يوحي أننا أمام سرد يقوم على جدلية ثنائية (الخير والشر)، أما شخصيات الصالحين فتأتي في المرتبة الأخيرة من حيث كثافة الحضور.

إلى جانب الحضور، نجد التنوع، حيث ذكر ستة أنبياء بينما ذكر ثلاثة شخصيات من المنبوذين والطغاة، أما الصالحون فذكر منهم اسما واحدا فقط هو أهل الكهف.

أما من حيث توزيع هذه الشخصيات عبر الثلاثية، فمنها من ذكر في كل أجزائها، ومنها من حضر في جزء واحد فقط.

وفي هذا الجدول أوضح وأصنف الشخصيات القرآنية الموظفة،حسب آليات استدعائها وكثافة حضورها في الثلاثية:

الشخصيات		آليات الاستدعاء		
الأنبياء	الكثافة (الرقم يشير إلى عـــدد مـــرات الحضور)	بالاسم العلم	بالدور	بالقول
سيدنا آدم عليه السلام	9	X بالاسم	X	
سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام	5	X بالاسم والكنية	X قصة النار قصة الذبح	X بالحوار
سيدنا موسى عليه السلام	4	X بالاسم	X قصة العصا	
سيدنا يوسف عليه السلام	2		X قصة غواية زليخة له وقصة سجود الكواكب	
سيدنا نوح عليه السلام	2			X بالدعاء
سيدنا سليمان عليه السلام	3	X	X تحكمه في العفاريت	
الأصفياء والصالحون	الكثافة	بالاسم العلم	بالدور	بالقول
أهل الكهف	5	X	x الهروب والنوم الطويل	
المنبوذون	الكثافة	بالاسم العلم	بالدور	بالقول
الشيطان	17	X	X	
فرعون	2	X	X	
الطاغوت	2	X		

من الجدول يلحظ أن شخصيات الأنبياء، واحدة من أهم الشخصيات القرآنية التي استعان بها وطار في بناء أحداث ثلاثيته، مستمدا من قصصها ووقائعها منطلقا للتعبير عن تجربته ورؤاه وأبعاده الفكرية من جهة، ولفهم واقعه الذي يعيشه بفهم ماضيه محققا بذلك التواصل والتفاعل بين الماضي والحاضر هذا من جهة ،ومن جهة أخرى كأنه يدعونا (ضمنيا) للتأسي بهم ؛بمبادئهم وأخلاقهم .

و فيما يلي تفصيل لذكر هذه الشخصيات ومواقعها بالتحديد داخل المتن الروائي:

أولا: مع الأنبياء

هنا أُبرز تجليات التناص مع شخصيات الأنبياء ودلالات ذلك وفق ترتيب الجدول السابق:

1 - سيدنا آدم عليه السلام:

استدعى وطار شخصية سيدنا آدم استدعاء مباشرا وصريحا، بذكر اسمه وقصة أكله من الشجرة المحرمة، وقد تكرر هذا الاستدعاء بالآلية نفسها في أكثر من موضع، يقول "يهيأ لي أن خطأهم الأزلي هو خطأ آدم، الأكل من الشجرة التي حرم الله"[11] كما يقول في موضع آخر "أكانت الشجرة التي أكل منها آدم وحواء لعنة أبدية بالغواية"[12]، وهو امتصاص لقوله تعالى﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾.[13]

وفي موضع آخر يقول الروائي على لسان الراوي "ممّ أخاف؟ سأل الولي الطاهر نفسه، فاكهة وهبها المولى أمد يدي إليها أقطفها، وهذا كل ما في الأمر، فلم الخوف؟ ربما فكر آدم هكذا، بدأته الغواية، من هذا الجانب فيه؟ جانب تأجيل حسرته وأسفه والاعتذار إلى وقت آخر"[14]وهو تشرب وامتصاص للآيتينالقرآنيتين﴿ وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾[15] وأيضا لقوله تعالى﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.[16]

يستمر وطار في استدعاء هذه الشخصية بتشبيه حادثة إغراء بلارة للولي الطاهر بقصة إغراء سيدنا آدم بأكل التفاحة، إذ جاء على لسان بلارة "نعيد حكاية أمنا حواء وأبينا آدم"·· هذا الفيف ليس سوى حالة، عشتها، فأنزلتني من السماء، ولا مهرب لك من أن تعمره"[17] أي إعمار الأرض بالذرية الصالحة، هذا ما طلبته الفتاة من الولي الطاهر، وهو ما أخبر الله به الملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[18]، كما أنه امتصاص لقوله تعالى﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[19]، كما يكثف وطار في«الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي » استحضار سيدنا آدم في مواضع مختلفة "فتسربت علوم الأولين والآخرين من الإنس والجن إلى رأسي، وفي الحق تذكرت ما كان وما سيكون مما علمه الله لآدم عليه السلام، وجرت حكمته أن لا تتكشف الأسماء إلا بميقات"[20] وهو امتصاص للمرجعي حيث يقول تعالى﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم

الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾[21].

2 - سيدنا إبراهيم عليه السلام:

تعتبر قصة سيدنا إبراهيم قصة غنية بالأحداث الدرامية وبالحوار والمجادلة، مما يساعد القارئ على التخيل، لذلك نجد الكثير من الشعراء والأدباء يتفاعلون مع هذه القصة من خلال أحد جوانبها أو أحداثها، كما هو الحال مع أديبنا، إذ يستدعي هذه الشخصية بكل الآليات المتاحة.

- **بالاسم أو الكنية**: استحضر الطاهروطار سيدنا إبراهيم بكنيته المشهورة وبمكانه المتميز، حيث يقول "لقد امتلأ مسجد خليل الله بدم عباد الله باسم الله"[22]وهو ما نجده في قوله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾.[23]

- **بالحدث أو الدور**: نجد أيضا"عن ستي لالة وردية، أما الرجل كبش نرعاه نعلفه، نشعشعه، ثم نفعل به ما فعل الله به(وفديناه بذبح عظيم)"[24] ومع الحدث نفسه لكن في موضع آخر وسياق مختلف يقول الروائي "ها هو قادم، يمشي الهوينى، يتماسك كبنيان مهدود، ترى فيم يفكر، وفيم يسرح خياله الفاجر الآن؟؟؟

- لأمت حينئذ، لأموتن ذبحا.

- افعل ما تؤمر به، ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

انطلق الخنجر من يدي - يد صاحبي، يد السهروردي الحديث.. فدى الله مصر والعرب والمسلمين، بذبح عظيم"[25]، في هذا الاستدعاء بالحدث، حدث الذبح والفداء تناص مع القرآن الكريم في حادث عظيم بطله نبيان عظيمان الأب والابن (سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل) عليهما السلام ﴿ فلما بلغ معه السعي، قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم﴾[26]. كما يزاوج وطار بين آليتي الاسم العلم والحدث معا، كما جاء في «الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي»، حيث يقول"اللهم يا خافي الألطاف نجنا مما نخاف، كما نجيت فتى الفتيان إبراهيم الخليل من النار"[27] وهو تناص تآلفي مع المرجعي القرآني ﴿ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم"﴾.[28]

- **بالقول:** يستدعي وطار سيدنا إبراهيم بمقولة مشهورة به " بلى ولكن ليطمئن قلبي"[29]وهو تناص بالإيماء والإحالة لقوله تعالى﴿ إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.[30]

3- سيدنا موسى عليه السلام:

وردت شخصية سيدنا موسى في القرآن الكريم في سبعة وستين (67) موضعا عبر واحد وستين (61) آية، وقد قام وطار في ثلاثيته باستدعاء النبي موسى عليه السلام بكل آليات استدعاء الشخصية:

-**بالاسم العلم والدور** (الحدث): وظف الروائي وطار شخصية موسى عليه السلام من خلال استحضار اسمهومعجزاته الخارقة (العصا السحرية)، إذ يقول"لقد أفلح السحرة ياسيدي الطبيب وعصا موسى جامدة لا تسعى"[31] هذا التناص يتعارض مع النص المرجعي في القرآن ﴿ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾.[32] بالقول: جاء هذا النوع من آليات الاستدعاء على لسان الولي الطاهر "رب إني لما أنزلت علي من خير فقير"[33] وهذا دعاء سيدنا موسى بلفظه ومعناه ناجى به ربه، بعدما اشتد عليه الجوع والضيق ويقول الله تعالى ﴿ فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾.[34]

4- سيدنا يوسف عليه السلام:

تعتبر قصة سيدنا يوسف عليه السلام بأحداثها الدرامية مادة غنية لدى الكثير من المبدعين، وقام وطار باستحضار بعض أحداثها أو قصصها، الأولى (قصة إغواء زليخة له) والقصة الثانية رؤيته (سجود الشمس والقمر والكواكب له)، دون ذكر اسمه صراحة، فهو استدعاء بالدور والحدث"... لكن راح ينظر من خلالها إلى الناس والكائنات في مختلف أصقع الأرض: بل هاهي النجوم في المتناول، هاهي الزهراء، وهاهو عطارد، وهاهي العقرب، القمر تحت قدمي والمشتري والمريخ في متناول بصري"[35] وهو تشرب لقوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.[36]

- أما التناص الثاني نجده على شكل حوار بين الولي الطاهر والفتاة التي تراوده "يا مولانا الطاهر، النسل الذي أنجبه وإياك، هو نسل يخص هذه المنطقة فقط... هيا يا مولاي، هيا.

- هيت لك.

- أستغفر الله العلي العظيم.

- هيت لك

- توقفي يا سجاح

- انتصب الولي الطاهر...

- يا خافي الألطاف نجنا مما نخاف.

- ومما تخاف يا مولاي.

- مما أخاف؟ سأل الولي الطاهر نفسه؟ فاكهة وهبها المولى.

أمد يدي إليها أقطفها وهذا كل ما في الأمر، فلم الخوف؟

ربما فكر آدم هكذا، بدأته الغواية، من هذا الجانب فيه جانب تأجيل حسرته وأسفه والاعتذار إلى وقت آخر"[37] وهو امتصاص تحويل لوقائع القصة القرآنية ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت : هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾.[38]

نجد في هذا التناص تناصا مزدوجا يتم باستحضار شخصيتين معا (يوسف وآدم)، وهذه الازدواجية مقصودة من طرف الروائي تحمل دلالة قوية، من أجل استخلاص العبرة بعد مقارنة الموقفين(الغواية) معا، ونتيجة كل موقف، لذا على الولي التفكير مليا في محنته، لكنه أخطأ عندما أفتى لنفسه بجواز قتل بلارة فوقع في كبيرة من الكبائر وهذا إسقاط لحالة الواقع الجزائري الذي انتشرت فيه فتاوى القتل، حيث صار أي شخص يستطيع أن يبرر لنفسه قتل أي شخص، مما يعني أن الاجتهاد القائم على تحقيق الرغبات الشخصية لا غير سبب من أسباب وقوع الإنسان في الخطأ.

5- سيدنا نوح عليه السلام:

من بين الشخصيات التي وظفها الروائي توظيفا خفيا بالتلميح دون التصريح، ولا حتى التنويع في آليات الاستدعاء، شخصية سيدنا نوح عليه السلام، الذي يعتبر رمز القيادة والإنقاذ، استدعاه عن طريق:

- **الاستدعاء بالقول**: ويأتي هذا القول المرجعي على لسان الولي الطاهر نفسه "قفز إلى ظهر العضباء يتمتم كأنما يرجوها الانطلاق : باسم الله مجراها ومرساها"[39] وهو دعاء سيدنا نوح عليه السلام، أثناء ركوبه السفينة مع من آمن به ﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها، إن ربي لغفور رحيم، وهي تجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾.[40] وهذا تناص تآلفي، فالولي يرجو النجاة من ضياعه في الصحراء وأن يتمكن من الوصول إلى بر الأمان.

6- سيدنا سليمان عليه السلام: يواصل الروائي استحضار شخصيات الأنبياء متشربا قصصهم، ليحرك النظام الداخلي للنص، وهنا يستحضر شخصية سيدنا سليمان، وكان الاستدعاء وفق آليتين :

استدعاء بالاسم العلم والدور معا (الحدث):

"...قد تشكلت خلايا متابعة، شملت كل بيت وكل حي، كما شملت كل فصائل المجتمع الإسرائيلي، بما في ذلك السحرة الذين صرح كبيرهم بأن عفاريت سيدنا سليمان هم الذين انطلقوا من أعماق الأرض ليعلنوا عن غضب الرب من التأخر في إعادة بناء الهيكل"[41]، كما يخبرنا الله تعالى أن جند سليمان من الجن والإنس والطير ﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾[42]، هنا يقوم وطار بتشرب وتحويل أحد أحداث قصة سيدنا سليمان، حين يقول على لسان الفتاة التي لا هي جنية ولا إنسية "في اللحظة الواحدة، وقبل أن تعيد طرفك إليك، تكون من خلال الأقمار التي تجوب الفضاء حيثما شئت، أغمض عيناك يا مولاي، وسأحملك ...إلى مختلف بقاع العالم"[43]،وهو امتصاص لحوار سيدنا سليمان مع أحد العفاريت الذي جزم بقدرته على إحضار عرش الملكة بلقيس في طرفة عين ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾.[44]

ثانيا: مع الصالحين

1- أهل الكهف

يستحضر وطار في ثلاثيته "أهل الكهف" أولئك الفتية الصالحين الذين هربوا من المدينة بدينهم خوفا من بطش ملكهم واختبأوا في الكهف، فتلطف الله بهم، حيث أدخلهم في نوم عميق لا أحد يعرف مدته الزمنية، قد تكون سنة أو سنوات عديدة أو قرنا أو قرونا... هذا الحدث استثمره وطار واستحضره بآليات متنوعة:

بالاسم العلم أو الكنية : استدعاهم بكنيتهم المشهورة التي هي "أهل الكهف" نسبة إلى الكهف الذي ناموا فيه، يقول:"إنه زمن أهل الكهف"[45] يقول تعالى﴿ إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾.[46]

بالدور (الحدث): يقول الروائي"لا يدري الولي الطاهر كم استغرقت هذه الغيبة فقد تكون لحظة وقد تكون ساعة كما قد تكون قرونا عديدة".[47]

وفي السياق ذاته يقول أيضا "ذاكرة الولي الطاهر تستعيد صورا وأخيلة عن وقائع جرت، لكن لا يميز أو حتى يتصور زمن وقوعها، الأمس واليوم السنة الماضية أو القرن الماضي، كلها أن قد يصغر وقد يكبر قد يطول وقد يقصر، قد لا يكون سوى ومضة من ومضات حلم أو كابوس"[48]، وحول النوم الطويل يقول أيضا "السبات يداهمنا السنة تنطفئ والنوم يأخذنا"[49]، مضيفا في موضع آخر "وأخشى ما يمكن أن نخشاه جميعا، هو أن نصاب في أية لحظة بالانهيار، ربما نستيقظ بعده، وربما ندخل في حالة غيبوبة لا يعلم مداها إلا الله"[50]، كل هذه المقاطع تتآلف مع ما جاءت به الآية الكريمة ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتيكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا﴾.[51]

فالتناص هنا مع النص المرجعي قائم على أساس ضبابية الزمن وغموضه، فزمن أهل الكهف هو نفسه زمن الجزائر، حيث الصراع الدموي حول المعتقد مازال قائما، وهو الذي دفع بأصحاب الإيديولوجية الإسلامية إلى الهرب والصعود إلى الجبل أو

الاختفاء، فضبابية الزمن وغموضه تعكس ضبابية الصراع وأطرافه ودوافعه الحقيقية، حسب ماتوحي به الثلاثية، خاصة في جزئها الأول.

ثالثا : مع المنبوذين

تعد شخصيات فرعون، الطاغوت والشيطان هي الشخصيات المنبوذة التي ذكرها القرآن والتي تواترت في الثلاثية:

1- الشيطان: تظهر هذه الشخصية بشكل لافت في الثلاثية، حيث يعتبر استدعاؤه الأبرز كما ونوعا، وتمّ ذلك بآليات مختلفة في سياقات متنوعة.

الاستدعاء بالاسم العام (الكنية أو الصفة): يقول الروائي "الشيطان أكثر المخلوقات عبادة لله لأنه رفض السجود لآدم"[52]، كما تساءل وطار عن جنس الشيطان"لا يمكن حصر جنس الشيطان ولا صفته له ولا ذات، يكون كما يشاء رجلا أو امرأة، ثعبانا أو بقرة شابا أو عجوزا، بل إنه يكون الواحد منا في يقظتنا وفي منامنا"[53]، وهو تناص تآلفي مع ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[54]، ليعني أن الأزمة في الجزائر ضرب من تلك الفتنة الأزلية"الشياطين من نار، والوباء الذي هربنا منه مس من الشيطان"[55]، كما يستدعيه بالاسم في قوله "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[56]، تناصا مع ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.[57]

الاستدعاء بالدور: "هكذا يغوي الشيطان ابن آدم"[58] وهو تناص تآلفي مع قوله تعالى ﴿قل فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾[59]، ومع قوله تعالى ﴿ قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾.[60]

2 : فرعون والطاغوت: اقتصر وطار في استدعاء هاتين الشخصيتين على آلية الاسم فقط، مع التلميح البعيد لظلمهما، لأنهما يعتبران رمزا للظلم والتجبر"لم يبق أمام المعبد الفرعوني"[61] وقوله في السياق ذاته "احتمال أن يأتي رد فعل الطاغوت سريعا"[62] وفي موضع آخر يقول"أجريت اتصالات قيمة بزملائك في مختلف الجامعات، تحملت مسؤولية البوح بموقفك تجاه الطاغوت"[63]، وتتفاعل هذه المقاطع تآلفيا مع النص المرجعي، ففي الرواية الطاغوت وفرعون منبوذان وكذلك في القرآن الكريم﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾[64]، وأيضا ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت

يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[65]، وهما في الرواية يمثلان الحاكم ورجال السياسة الطغاة الذين لا يعترفون بالحوار كأسلوب للنقاش وحل المشاكل، فتأتي ردود أفعالهم سريعة وعنيفة، فتمثلت مقصدية هذه التناصات "على اختلاف مستويات تعمق كتابها في التحليل السيكولوجي للشخوص أوفي التحليل الاجتماعي للأحداث في إصلاح المجتمع والمقارنة بين أحداث الماضي والحاضر لإنتاج معرفة بالحاضر وبمشاكله السياسية".[66]

أي أن الطاهر وطار يوظف الماضي من أجل فهم الحاضر فهما صحيحا، تجنبا للوقوع في الأخطاء نفسها التي عرفها تاريخنا الإسلامي.

لقد اهتم الطاهر وطاربالجانب الإنساني والاجتماعيالمليء بالتقلبات والتغيرات والنقائض وكذا الصراع الذي يمربه الإنسان مع أخيه الإنسان داخل المجتمع الواحد، في محاولة لتحليله والكشف عن أسبابه ونتائجه ، لتجنب الوقوع في نفس الأخطاء، من أجل ذلك استثمربعض التقنيات الروائية ، كالشخصية الحكائية التي تعود قيمتها الفنية إلى موقفها الاجتماعي بل إلى قدرة المؤلف وذكائه في تحديد ملامحها المعنوية والإديولوجيا.[67]

لذلك نجد أن تفاعل وتشرب الولي من وقائع حيثيات هذه الشخصيات وما ارتبط بها من أحداث له تأويلات ودلالات كثيرة منها العام ومنها الخاص،فقد قصد منها إضافة دلالة المصداقية وقوة الحضوربوجه عام ،أما الخاص منها فقد حمل دلالة الإنقاذ والقيادة مع قصة سيدنا نوح عليه السلام، والعجزعن إيجاد الحلول بعد الاستعانة بعصا موسى السحرية .

خاتمة

إن حضور الشخصيات الدينية في الثلاثية كان حضورا بارزا ومتنوعا، حيث أن استدعاءها كان عبارة عن قناع أو رمز للتعبيرعن تجربة الطاهر وطار ورؤيته للواقع،حيث أسقطها على واقع الأمة الجزائرية والعربية على حد سواء. كما أن الكيفية التي وظّفها بها والتقنيات الفنية التي استعملها سمحت له أن يجدد أدواته التي يحاول بها القبض على المعاني الشاردة، ليصور عالمه، ويوضح عمق تفاعل الحاضر مع الماضي، هذا التفاعل الذي يؤسس للمستقبل .

المصادر والمراجع:

أولا-المصادر:

1-القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

2- الطاهر وطار: الطاهر وطار :الشمعة والدهاليز .موفم. الجزائر. ط1 .2004.

3- /// :الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي.موفم. الجزائر. ط1 .2004.

4- /// :الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. موفم. الجزائر. ط1 .2005.

أولا-المراجع:

*- أحمد مجاهد : أشكال التناص الشعري/ دراسة في توظيف الشخصية التراثية . الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط2 .2006 .

2- رفيف رضا صيداوي: الرواية العربية بين الواقع والتخييل .دار الفارابي.بيروت.ط1. 2008. ص100.

[3]- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.الشركة العامة للنشر والتوزيع. طرابلس/ليبيا. ط1. 1987.

[4]-عمرعاشور: البنية السردية عند الطيب صالح. دار هومة.الجزائر.ط1. 2010.

5- فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة:سعيدبنكراد، داركرم الله للنشر والتوزيع،الجزائر، دط، 2012.

[6]- ماجد محمد النعامي: توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم مقادمة. مجلة الجامعة الإسلامية. غزة/ فلسطين. مجلد15.ع1. 2006.

7- واسيني الأعرج: الطاهر وطار/ تجربة الكتابة الواقعية.المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.ط1 . 1989. ص45.

8**Poétique de la prose .Seuil .Paris.1971.P78 :- TodorovTzveten**

الهوامش:

***ثلاثية الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء.**

1- فيليب هامون: سيميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة:سعيدبنكراد، داركرم الله للنشر والتوزيع،الجزائر، دط، 2012م.ص 36

2Poétique de la prose .Seuil .Paris.1971.P78 :- TodorovTzveten

3 -عمرعاشور: البنية السردية عند الطيب صالح. دار هومة.الجزائر.ط1. 2010. ص153

4- أحمد مجاهد : أشكال التناص الشعري/ دراسة في توظيف الشخصية التراثية . الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط2 .2006 .ص15

5- السابق ص22.

6- السابق: ص87.

7- نفسه: ص20.

8- نفسه: ص87.

9- ماجد محمد النعامي: توظيف التراث والشخصيات الجهادية والإسلامية في شعر إبراهيم مقادمة. مجلة الجامعة الإسلامية. غزة/ فلسطين. مجلد15.ع1. 2006. ص55.

10- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر.الشركة العامة للنشر والتوزيع. طرابلس/ليبيا. ط1. 1987. ص97.

11- الطاهر وطار :الشمعة والدهاليز . موفم. الجزائر. ط1 .2004. ص 89.

12- السابق: ص137.

13 - البقرة:35.

14- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي.موفم. الجزائر. ط1 .2004. ص77.

15- طه:121/122.

16 - الأعراف:23.

17- الطاهر وطار :الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص73.

18- البقرة:30.

19- البقرة:36.

20- الطاهر وطار :الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء.موفم . الجزائر. ط1 .2005. ص23.

21- البقرة :33.

22- الطاهر وطار :الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص111.

23- النساء:125.

24- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز. ص172.

25- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص50.

26- الصافات:102/107.

27- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص50.

28- الأنبياء:69.

29- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز .ص31.

30 - البقرة: 260.

31- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز.ص160.

32- طه:69.

33- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص56.

34- القصص: 24.
35- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص76.
36- يوسف:4/3.
37- الطاهر وطار :الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص77.
38- يوسف:24/23.
39- الطاهر وطار :الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي. ص19.
40- هود:42/41.
41- الطاهر وطار :الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. ص32.
42- النمل:17.
43- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص88/87.
44- النمل:40.
45- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز. ص8.
46- الكهف:11/10.
47- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي. ص88/87.
48- الطاهر وطار: الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء. ص15.
49- نفسه: ص61.
50- السابق: ص60.
51- الكهف:19.
52- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز . ص201.
53- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص34.
54- الأنعام: 112.
55- الطاهر وطار :الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص40.
56- الطاهر وطار:الشمعة والدهاليز.ص208.
57- النحل:98.
58- الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص75.
59- سورة ص :82.
60- الأعراف:17/16.
61 - الطاهر وطار: الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي . ص52.
62- السابق ص52.
63- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز.ص204.
64- طه:24 والنازعات:17
65- البقرة:257.
66- رفيف رضا صيداوي: الرواية العربية بين الواقع والتخييل .دار الفارابي.بيروت.ط1. 2008. ص100.

4- واسيني الأعرج: الطاهر وطار /تجربة الكتابة الواقعية.المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.ط1 . 1989. ص45.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊